مركز نماء للبحوث والدراسات
Nama Center for Research and Studies
namacenter

حوارات

حوار مع البروفيسور أحمد ت. كورو:
العلمانية والإسلام في فرنسا

حوار وترجمة: عثمان أمكور

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار مع البروفيسور أحمد ت. كورو: العلمانية والإسلام في فرنسا

قام بالحوار والترجمة: عثمان أمكور باحث أكاديمي مغربي

يُسعدني القيام بحوار معرفي مع أكاديمي ومفكر مهم تميز بتقديم كتابين خلقا نقاشًا واسعًا سواء في السياق الغربي أو نظيره الإسلامي؛ حديثي هنا عن البروفيسور أحمد كورو أستاذ العلوم السياسية بجامعة سان دييغو والمدير السابق لمركز الدراسات الإسلامية والعربية التابع للجامعة نفسها. ألّف كورو كتابًا حصد به جوائز أكاديمية مهمة، وهو «العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين: الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا» (Secularism and State Policies toward Religion The United States, France, and Turkey) الصادر عن جامعة كامبريدج ٢٠٠٩ الذي ترجمته الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

وهو الكتاب الذي رصد فيه السياسات العلمانية المتبعة عند نماذج متباينة كفرنسا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية وتفاعلاتها مع المجال العام، وهو الكتاب الذي قدم من خلاله تصورًا قائمًا على أن العلمانية تنقسم لواحدة «سلبية» وأخرى «حازمة».

كما أن البروفيسور كورو أصدر كتابًا مهمًا مؤخرًا عن دار جامعة كامبردج سنة ٢٠١٩ وهو كتاب «الإسلام، السلطوية، والتأخر» (Islam, Authoritarianism, and Underdevelopment) الذي ستصدر ترجمته العربية قريبًا. هذا الكتاب الذي حاول تقديم رؤية مركبة تسعى لفهم أسباب التقدم الحضاري الذي ميز المجتمعات الإسلامية في حقبة تاريخية معينة وكذلك رصد أسباب الركود الحضارية وبواعثها التي أحدثت تضخمًا للسلطوية والتخلف. وفق هذه الأرضية يسعى هذا الحوار لتقديم فهم هادئ للمجريات الأخيرة التي يشهدها المشهد الفرنسي مؤخرًا بفعل خطاب ماكرون والأحداث الإرهابية الأخيرة التي جددت النقاش حول علاقة الإسلام بالعلمانية ومنه علاقة الإسلام بالحضارة والتنوير.

عثمان أمكور: في الشهر الماضي، ألقى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون خطابًا طال انتظاره حول محاربة «الانفصالية الإسلاموية». بعد أسبوعين، قتل مراهق مسلم مدرسًا في فرنسا مباشرة بعد أن أظهر المعلم بعض الرسومات الكاريكاتورية عن النبي محمد داخل فصله. أثار هذا نقاشًا جديدًا حول الإسلام في فرنسا وهو ما أفرز ردود فعل عالمية متباينة حول الأمر. في كتابك «العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين: الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا» الصادر عام ٢٠٠٩ قدّمت طرحًا قائمًا على أن النموذج الفرنسي يعرف علمانية «حازمة». كيف تفسر هذه الأحداث الأخيرة في فرنسا من خلال عدسة تحليلك للعلمانية الفرنسية؟

أحمد ت. كورو: شكرًا جزيلًا على هذه المقابلة، التي تجمعني بمركز نماء الذي نشر مراجعة مهمة لكتابي الذي أشرت إليه

وذلك منذ قرابة سبع سنوات. فمن دواعي سروري أن يتجدد التواصل بالمركز وقُرَّائِه مرة أخرى.

وبداية يهمني أن أشير إلى أن خطاب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون المثير للجدل يعكس أبعاد العلمانية الفرنسية الحازمة، التي ترمي إلى استبعاد الرموز الدينية من المجال العام، والتي لا تخلو من رُهاب الإسلام (Islamophobia)، بحكم ما لها من تأثير متزايد على المشهد السياسي الفرنسي. وحتى أكون أكثر تحديدًا، فإن المشهد يرتبط بمنافسة ماكرون لمارين لوبان (Marine Le Pen) زعيمة التجمع الوطني، الحزب المناهض للمهاجرين والمعادي للإسلام في فرنسا. يحاول ماكرون من خطابه استمالة ناخبي اليمين من أجل الفوز في الانتخابات الرئاسية المقبلة في أبريل ٢٠٢٢.

ومع ذلك، يجب أن ندرك وجود مخاوف حقيقية بشأن التطرف الإسلامي في فرنسا. حيث شهدت فرنسا خلال السنوات الخمس الماضية عدة هجمات إرهابية نفذها مسلمون متطرفون. كالهجمات الإرهابية الكبيرة التي شهدتها باريس سنة ٢٠١٥ ونيس في ٢٠١٦، فضلًا عن هجمات أخرى.

فرنسا بحاجة للمسلمين الفرنسيين من أجل مساعدتها لمحاربة التطرف داخل نسيجها الفرنسي. لكن بعد خطاب الرئيس الفرنسي الأخير، نبذ ماكرون المسلمين الفرنسيين حينما قال إن **«الإسلام يمر بأزمة اليوم في جميع أنحاء العالم»**.

ع.أ: جاء في خطاب ماكرون كما أشرت بما أسماه «أزمة الإسلام» وأن الحل يتأتى ببناء إسلام في فرنسا يتوافق مع فكر التنوير. هل هذا الكلام امتداد للعلمانية «الحازمة» حسب تعبيرك؟ بصيغة أخرى هل الإسلام يعاني من أزمة أم إن «العلمانية الحازمة» في نموذجها الفرنسي هي التي تحتاج إلى إصلاح؟

أ.ك: يوثق كتابي الجديد، «الإسلام والسلطوية والتأخر»، امتلاك العديد من البلدان الإسلامية لمشكلات مركبة بفعل الاستبداد السياسي والتخلف الاجتماعي والاقتصادي. فالأرقام تثبت بأن ٣٢ دولة إسلامية من أصل ٤٩ تجرم الكفر وتعاقب الأشخاص الذين ينتقدون المقدسات. كما أنه داخل ستة بلدان، يعتبر الكفر جريمة كبرى يعاقب عليها بـ«الإعدام».

ومع ذلك، فلا يمكن سوى اعتبار ماكرون مخطئًا بربط مشكلات البلدان الإسلامية على أنها نتاج «أزمة الإسلام»، هذه القراءة قائمة على تجاهل للأسباب التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت وراء وضعية الدول الإسلامية اقتصاديًا واجتماعيًا. استحضار العامل الديني مهم، لكن استحضاره بهذه الطريقة يُغبش الرؤية ويُمرر مغالطات. علاوةً على ذلك، فإن الشباب المسلم الذي يتسم خطابه وسلوكه بالتطرف في أوروبا يعاني بالأساس من التمييز الاجتماعي والاغتراب.

مشكلة أخرى يمكن لمسها في خطاب ماكرون هي ما أشرتَ له في سؤالك؛ أي ادعاءه أن الدولة الفرنسية قادرة على بناء نسخة «مستنيرة» من الإسلام. وهو بالمناسبة أمر يتعارض مع فكرة فصل الدين عن الدولة، وهو مبدأ أساسي للدولة العلمانية.

وهو المبدأ الذي تم التأكيد عليه بوضوح في الدستور الأمريكي، الذي يشير إلى أن حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع أن تؤسس دينًا ولا أن تحظر الممارسة الحرة لدين ما. إلا أن الدستور الفرنسي يعرّف الدولة «العلمانية» فقط دون إعطاء تحديد لطبيعة العلاقة بين الدين والدولة. في كتابي الصادر عام ٢٠٠٩ حول العلمانية المعنون بـ«العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين»، حددت نوعين مختلفين من العلمانية: «**علمانية سلبية**» ميزت التجربة الأمريكية، بحكم ما تشهده من تسامح مع الرموز الدينية في المجال العام، كعدم حظر الحجاب في أمريكا. في المقابل «**العلمانية الحازمة**» التي تميز التجربة الفرنسية، والقائمة بإقصاء للرموز الدينية بطريقة جذرية من المؤسسات العامة كالمدرسة على الأقل.

نموذج فرنسا للعلمانية الحازمة هو الذي يواجه الآن تحديات ومشكلات مختلفة، وهو ما يمكن لمسه انطلاقًا من تعامله مع ملفات كالتعددية الثقافية والهجرة. تحتاج العلمانية الفرنسية «الحازمة» لإيجاد حلول لتعامل مع هذه التحديات والصعوبات.

ع.أ: هل لهذا النقاش جذور مرتبطة بطرح الاستعمار وما بعد الاستعمار؟ بحكم أن فرنسا احتلّت عدة دول إسلامية منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى حدود منتصف القرن العشرين، وهو ما شمل مناطق مثل المغرب الكبير ومنطقة الشام.

أ.ك: سؤال مهم جدًّا يستحق إجابة مُسهبة. ولكن اعذرني أني سأقدم إجابة مقتضبة حول الأمر. في الواقع مشكلات الاندماج عند المسلمين داخل النسيج الفرنسي مرتبطة بالتأكيد بالموروث التاريخي للاستعمار. يجدر الإشارة إلى أن المسلمين

في فرنسا يشكلون قرابة ستة ملايين شخص وهو ما يقارب ٩% من إجمالي السكان في فرنسا.

جُل هذه الشريحة من المسلمين الفرنسيين ينحدرون من آباء قادمين من المناطق التي كانت تُعد مستعمرات فرنسية. ومع ذلك، فإن العلمانيين الفرنسيين ينكرون عمومًا ارتباط مشكلات الاندماج التي يعرفها المسلمون بمسألة الإرث الاستعماري، الذي يُترجم اليوم بسلوكيات توصف بالتمييز العنصري والديني. مع الأسف، فإن الإشارة التي جاءت في خطاب ماكرون كانت مُقتضبة جدًّا حينما أشار لمسألة تاريخ الاستعمار الفرنسي داخل الأراضي الإسلامية، وهو ما يصعب البناء عليه.

ع.أ: أحدث خطاب الرئيس الفرنسي ماكرون احتجاجات كبيرة من طرف شرائح مهمة داخل «العالم الإسلامي» كيف تقرأ هذا الواقع؟ وهل يمكن تقديم توصيات لهذه المجتمعات المسلمة لتفاعل بشكل مجدٍ مع هذا الجدل الذي تم إحياؤه في فرنسا؟

أ.ك: للمسلمين كامل الحق بأن يقدم انتقاد لماكرون حول رؤيته للإسلام وكذا التشكيك في سياسات العلمانية الفرنسية. ولكن هذا يجب ألا يحجبنا كمسلمين عن أن نسائل أنفسنا ونفكك مشكلاتنا الممتدة بتوظيف مشرحة النقد. يجب أن نكون قادرين على انتقاد منظوماتنا الفكرية والمؤسساتية. يجب أن نسأل ونبحث عن رؤى تسمح للمجتمعات الإسلامية حصد المزيد من جوائز نوبل، وامتلاك مزيد من المفكرين المؤثرين والفنانين يبلغ صيتهم العالمية.

ع.أ: ألاحظ أنك تقدم هذه الأسئلة المهمة في كتابك الأخير المنشور عام ٢٠١٩، «الإسلام والسلطوية والتأخر: مقارنة عالمية وتاريخية» (Islam, Authoritarianism, and Underdevelopment: A Global and Historical Comparison) الذي ستصدر ترجمته العربية قريبًا، حيث ربطت مشكلة الاستبداد الموجودة عند جلّ البلدان الإسلامية بالتحالف الذي جمع بين علماء الدين بالأنظمة السلطوية. هل هذا يعني أنك تقترح على المجتمعات الإسلامية تبني علمانية حازمة تحد من دور العلماء في السياسة؟

أ.ك: أشكرك مجددًا على سؤالك المميز. في الواقع أنا لا أقترح علمانية حازمة، من شأنها أن تُقيِّد دور العلماء داخل المنظومة السياسية. ولكني أقترح مستوى معينًا من الفصل بين الدين والسياسة والأوساط الأكاديمية والاقتصاد والفنون والرياضة وكل «مجالات الحياة» الأخرى.

هيمنة أي مجال، يؤدي بالضرورة إلى الظلم والفساد. على سبيل المثال، إذا كانت السياسة تتحكم في الدين والأوساط الأكاديمية والاقتصاد، فهو أمر سيؤدي بنا إلى تراجع الأخلاق، وضمور التفكير العلمي، وتراجع الكفاءة الاقتصادية. أرجو أن نحظى بمقابلة أخرى مع مركز نماء في المستقبل القريب حتى أتمكن من شرح تحليلي ومناقشاتي في كتابي الجديد عن الإسلام.

ع.أ: شكرًا لكم على هذا الحوار القيم، وأكيد سنسعد بتقديم حوارات أخرى تسهم بتوصيل أفكارك القيمة للجمهور العربي.

أ.ك: شكرًا لكم وهو أمر يسعدني دائمًا.